Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فكيف يخشون رجلاً فى مقدورهم استعمال سلاحه والرد عليه ، وقد عرف عن بشار أنه كان يخشى هجاء الناس له ، فيروى أبو الفرج أنه هجا صديقه أبا زيد ، وحين رد عليه الرجل وهجاه ، ندم على تعرضه لـه ، وجعل ينـطح الحائط برأسه غيظاً(٢٤) .

والصـراع بين اللغـويين والشعـراء قديم ، يخـطىء الأولون الآخـرين فيهجونهم ، ولكن هذا الهجاء لا يمنعهم من العودة إلى نقدهم وبيان ما جاء فى شعـرهم من هنات ، حـدث هذا بـين الفـرزدق وعبـد الله بن أبى اسحق الحضرمى ، فقد عاب الأخير شعر الفرزدق فهجاه بقوله :

فلو كـان عبـدُ الله مَـوْلىً هَجَـوْتُـه ولكنَّ عبـدَ الله مَـوْلى مُـوَالِيَـا

فلم يثن ذلك ابن أبى اسحق وخطأه مرة أخرى فى هذا البيت . وقد نقبل إحجام واحد أو اثنين عن نقد الشاعر خوفاً من هجائه ، لكنا لا نتصور إجماع العلماء على الخشية منه ، إجماعهم على استحسان شعره والرضابه ، ولابد أن يكون شىء ما فى هذا الشعر أثار إعجابهم على الرغم من عدم حبهم للشاعر نفسـه ، ويجب على من يتصـدى للتأريـخ للذوق الفنى أن يبحث عن هذا الشىء ، ويتلمس أسبابه وعلله ، إذا لم يجد من بين معاصريـه من يرشـده إليه ، وليس يكفى التشكك فى منزلة بشار والقيمة الفنية لشعره ، كما أنه من الإجحاف بالشعر والشاعر أن نحكم عليه بأذواقنا التى أصبحت شيئاً آخر غير أذواق القدماء ؛ فليس كل ما يعجب القدماء يمكن أن يثير إعجابنا ، وليس كل ما رفضه القدماء مرفوضاً عنـدنا ، كـما أنه ليس يكفى أن نستـدل على الجوانب الفنية بما يروى من أن بشاراً حين مات لم يشيعه أحد وكأن الناس قد استراحوا منه ، أو هم بالفعل قد أحسّوا بالراحة لموته ، ولقد كان فى هـذا العصر من الفتن ما فيه ، فقد نشطت الدسائس والمؤامرات إلى حـد جعل الناس يعتصمون بمبدأ التقية وذلك بالإضافة إلى أن الانقلابات الخـطيرة فى مزاج الحكام التى نرى فيها الوزير المقرب والصدق المصطفى يصبح بين يوم وليلة موضع الانتقام والغضب ، لم تكن تسمح للناس بالتعبير عن أنفسهم ، ولهذا فعدم خروج الناس لتشيع بشار إلى مثواه الأخير فيه إدانة لهذا العصر ،

(٢٤) الاغانى ٣ : ١٠٣٤ .